على ضفاف التفكير والإدراك!!

www.arabpsynet.com/Documents/DocJ41SamarraiThinking&Percep.pdf

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

أستاذي الدفاق الرؤى والأفكار(يحيى الرخاوي) ، أوقعتني في أحبولة التفكير والوعي والإدراك ، ووجدتني صيدا يحوك شبكة أسره ليتموضع في أفق مطلق!!

وهذه الكلمات ليست ردا وإنما تفاعلا وتحاورا وتواصلا ، ومحاولة للمعرفة بتجاذب عقولٍ متشوقةٍ للإدراك والإشراق المنير.

وبعد:

فالإرتقاء إلى نوال الأفكار جهد ومُجاهدة ، وصعود يحتاج إلى كفاءة بدنية وعقلية تتحمل الخطو الأصعب ، يَعرفها مَن تسلقَ سفوح الجبال ، وأدركَ معنى وصوله إلى قممها.

فعندما تتسلق العاليات ، تشعر وكأن ساقيك قد أصبحا أثقل من الجبل الذي تتسلقه ، وكلما إرتفعتَ تقل نسبة الأوكسجين ويزداد عدد مرات التنفس ، ويفزعك دوي القلب في صدرك؟!

هكذا تبدو عملية صيد الأفكار وإستنزالها من معاقلها ومداراتها الكونية ، فلا يمكن للفكرة أن تهب نفسها لمن يشاء ، وقد يستحصلها عقل جاهد للإمساك بها عبر أجيال وأجيال!!

فالجينات أو الموروثات الكامنة في أعماق الأحماض الأمينية في النويات ، هي أرشيف مسيرة وتفاعلات متراكمة تؤهل حاملها للإنبثاق ، ووعي الفكرة المقصودة والرؤية المتوهجة في مفردات ذاتها.

فلا يمكن للفكرة أن تهب نفسها لمن يشاء ، وقد يستحصلها عقل جاهد للإمساك بها عبر أجيال وأجيال!!

ومن هنا فأن الأفكار العَلية ، بحاجة لقدرات علوية ، وطاقات تفاعلية ذات إمتدادات متوافقة مع إيقاع نبض الوجود ، ومتوائمة مع أمواج الكون الفسيح.

إن الوصول إلى هذا التناغم الإدراكي والتنابض الحي الأرحب ، يفتح بوابات الإنغلاق ، ويزيح صخور الحُجب ، ويكشف ما وراء غطاء الذات المعصوبة بالرغبات ، وسطوة النفس

المتأججة الإنفعالات , والتوجهات المادية المحتدمة في ترسانة الأنانية والرغبوية الشديدة الإندلاق , في عالم يتحول فيه البشر إلى أرقام , ومفردات تدور في طاحونة الأيام , بإسم التحضر والمدنية والإنفلات الإبتكاري وإختراعات ما بعد الخيال.

ولهذا فليس من السهل الحديث عن موضوعات ذات أحضان لا محدودة , ومؤهلات غير موجودة , وصياغات ذات منطلقات ممدودة.

ولكي تتفاعل العقول لا بد لها أن تتحرر من آليات الذبول , والإنغلاق في أفق النظريات , لأن ما يُسمى نظرية محاولة للوصول إلى فهم , وليس الإمساك بالحقيقة المطلقة , إنها وجهة نظر ذات قدرة على إستحضار الحجج والأدلة والبراهين , التي تؤازر قَدَرا من الصوابية التي تمتلكها , وبتطور المعرفة وتراكمها , ربما يتم دحض النظرية أو تطويرها , لأنها بداية للفهم والمعرفة وليست نهاية لهما.

ولهذا فأن الإستناد على النظريات لا يعني أننا قد كشفنا جوهر الحقيقة وذات المعرفة , وإنما حاولنا الدوران في أفلاكهما , وفي معظم الأحوال , نقع ضحايا للنظريات لأنها مثل الصندوق , أو قيد الأسر الذي يملي علينا كيف نرى ونفكر ونتصور , وفي واقع الأمر نحن لا نرى ولا نفكر , وإنما نتبع رؤية فيها شيئ من الصوابية القادرة على البقاء لفترة مرهونة بدرجة المعرفة , وما يتوفر من مفردات قد تعززها أو تدحضها.

ومن المعروف أن النظريات تتبدل وأنها ليست مطلقة , ولا يمكن أن تكون ذات طبيعة خالدة , إلا إذا تحولت إلى قانون طبيعي , موجود أصلا في الكون السرمد , فنحن نكتشف ولا نخترع!!

فما نعيشه هو إكتشاف لموجودات فكرية وعملية قائمة في كون موزون متوازن , منضبط دقيق التفاعلات والتطورات , وأي حركة في أي موضع فيه تؤثر على بدنه الأكبر!!

إنه مثل بيت العنكبوت بآلياته وهندسته وترابطه وتواصله , وإحساسه بأية طاقة تمسّه أو تقترب منه.

وهكذا فأن المحسوس سيكون ملموسا , والموجود حاضرا , والقدرة على الإرتقاء إلى مدارات التفكير المتباين المدارات , تستوجب الكثير من المجاهدات والرياضات.

ومن العسير على الإنسان بعمره أن يكون قادرا على إمتلاك الطاقات اللازمة لولوج أبواب

وكي تتفاعل العقول لا بد لها أن تتحرر من آليات الذبول , والإنغلاق في أفق النظريات , لأن ما يُسمى نظرية محاولة للوصول إلى فهم , وليس الإمساك بالحقيقة المطلقة

بتطور المعرفة وتراكمها , ربما يتم دحض النظرية أو تطويرها , لأنها بداية للفهم والمعرفة وليست نهاية لهما.

وفي واقع الأمر نحن لا نرى ولا نفكر , وإنما نتبع رؤية فيها شيئ من الصوابية القادرة على البقاء لفترة مرهونة بدرجة المعرفة , وما يتوفر من مفردات قد تعززها أو تدحضها.

فما نعيشه هو إكتشاف لموجودات فكرية وعملية قائمة في كون موزون متوازن , منضبط دقيق التفاعلات والتطورات , وأي حركة في أي موضع فيه تؤثر على بدنه الأكبر!!

ومن العسير على الإنسان بعمره أن يكون قادرا على إمتلاك الطاقات اللازمة لولوج أبواب المعارف العلوية والحقائق اليقينية ,

المعارف العلوية والحقائق اليقينية , وإنما يتطلب ذلك تراكم إرادات ومجهودات أجيال متواكبة المحاولات , حتى تلد العقل المؤهل لفتح أبواب غياهب الإدراكات , ووعي أفكار ذات إنطلاقات مادية وحضارية وصيرورات تفاعلية تؤهلها لصناعة الحياة.

إن التفكير قوة السعي نحو كشف محتوى المجهول وكوامن الذي لا يُرى إلا بعين اليقين.

ولا يمكن للأفكار أن تجري في أنهار الإدراك إذا تقيّدت بدائرة الثنائيات المفرغة , كما تطرحه بعض النظريات السلوكية التي تحاول تفسير المشاعر والمخاوف على أنها ناجمة عن تغيرات فسيولوجية!!

وأخيرا لابد من التساؤل عن كيفيات بناء العقول الحضارية , القادرة على صناعة الحياة الكفيلة بالتعبير عمّا تحتويه من طاقات إبداع , وانطلاق وثّاب الرؤى والصيرورات , كما فعل السابقون في حضاراتنا المنيرة الأصيلة الإضافات؟؟!!

فإذا كان الأجدادُ قادرين فالأحفاد أقدر!!

وشكرا على إقحامي في موضوعات صعبة معقدة شديدة الغموض والهروب , لأنها قرينة السراب؟!!

وبكم نتحفز , ومنكم نستزيد , وبأفكاركم نتجدد , وحسبنا المزيد.
وأختم بهذا البيت الذي حضرني وأنا أقرأ إحدى رسائلك وسيأتيك بقصيدة حتما.

"أبوحُ بما يُخالجُني ويَفري.....فؤادَ متيَّمٍ في كونِ أدْري"

وإنما يتطلب ذلك تراكم إرادات ومجهودات أجيال متواكبة المحاولات ، حتى تلد العقل المؤهل لفتح أبواب غياهب الإدراكات ، ووعي أفكار ذات إنطلاقات مادية وحضارية وصيرورات تفاعلية تؤهلها لصناعة الحياة.

إن التفكير قوة السعي نحو كشف محتوى المجهول وكوامن الذي لا يُرى إلا بعين اليقين.

لابد من التساؤل عن كيفيات بناء العقول الحضارية ، القادرة على صناعة الحياة الكفيلة بالتعبير عمّا تحتويه من طاقات إبداع ، وانطلاق وثّاب الرؤى والصيرورات ، كما فعل السابقون في حضاراتنا المنيرة الأصيلة الإضافات؟؟!!

*** ***

اصـــــدارات " شبكة العلوم النفسية العربية "

اصدارات مجمية بكلمة عبور للمشتركين

-المجلة العربية للعلوم النفسية
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm
-الكتاب النفسي العربي
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm
-المعجم الموسع للعلوم النفسية
الاصدارا العربي
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm
الاصدارا الانكليزي
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.htm

الاصدارا الفرنسي
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Fr.htm